اسم الدرس : الحور بعد الكور ج١ | سلسلة إشكاليات

تصنيف الدرس : تربويات

الحور بعد الكور ج١

(محاولة لتحليل ظاهرة سقوط بعض الكوادر الإسلامية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.

مقدمة عن المجلس:

في هذا المجلس أريد أن أتكلم عن نقطة أرى أنها من النقاط المهمة، لا سيما أن النبي ﷺ كان يكثر من الدعاء فيها؛ فكان ﷺ يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[1] ، وهناك دعاء آخر قد لا يعرفه كثير من الناس، أو لم يسمعوا عنه فضلًا عن أن يعرفوا معناه، فقد كان ﷺ يستعيذ من الحَوْرِ بعد الكَوْر؛ فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور)[2].

من نخاطب في هذا المجلس ؟

وهذا المجلس يخاطب الذين مشوا في طريق الله، وعملوا فترةً لدين الله –سواءً كان عملًا علميًّا أو دعويًّا أو اجتماعيًّا أو خيريًّا–، ونُطلق عليهم اختصارًا أنهم "**كادر من كوادر الدين**".

ونحن نعاني هذه الفترة من مشكلة الحساسية تجاه بعض المصطلحات؛ فالبعض لا يريد استخدام مصطلحات مثل: ملتزم، أو منتكس، ويستبدلونها بمصطلحات أخرى؛ فنجد أنفسنا ندور في دائرة حول المصطلحات.

---

[1] [عن أم سلمة أم المؤمنين:] أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كان يُكثِرُ في دُعائِه أنْ يقولَ: اللَّهمَّ مُقَلِّبَ القُلوبِ، ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أو إنَّ القلوبَ لَتتقَلَّبُ؟ قال: نعَمْ، ما مِن خَلْقِ اللهِ مِن بَني آدمَ مِن بَشَرٍ إلَّا أنَّ قلبَه بينَ إصْبَعَينِ مِن أصابِعِ اللهِ، فإنْ شاء اللهُ عزَّ وجلَّ أقامَه، وإنْ شاء اللهُ أزاغَه، فنسألُ اللهَ ربَّنا ألَّا يُزيغَ قُلوبَنا بعدَ إذْ هَدانا، ونَسألُه أنْ يَهَبَ لنا مِن لَدُنْهُ رحمةً، إنَّه هو الوَهّابُ، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا تُعَلِّمُني دَعوةً أدْعو بها لِنَفسي؟ قال: بلى، قُولي: اللَّهمَّ ربَّ محمَّدٍ النَّبيِّ، اغفِرْ لي ذَنْبي، وأَذْهِبْ غَيْظَ قَلبي، وأَجِرْني مِن مُضِلّاتِ الفِتَنِ ما أَحْيَيْتَني.

أحمد شاكر (ت ١٣٧٧)، عمدة التفسير ٣٥٥/١ • إسناده صحيح

[2] [عن عبدالله بن سرجس:] كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا سافرَ يقولُ اللَّهمَّ أنتَ الصَّاحبُ في السَّفرِ والخليفةُ في الأَهلِ اللَّهمَّ اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أَهلنا اللَّهمَّ إني أعوذُ بِكَ من وعثاءِ السَّفرِ وَكآبةِ المنقَلَبِ ومنَ الحوْرِ بعدَ الْكورِ ومن دعوةِ المظلومِ ومن سوءِ المنظرِ في الأَهلِ والمالِ

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٣٤٣٩ • صحيح

والشاهد هو أنني أريد أن أتكلم عن أُناس ساروا في طريق الله فترة، وقطعوا شوطًا كبيرًا، وليس عن إنسان كان يعمل طاعة معينة ثم تركها، أو كان ملتحيًا فحلق لحيته، أو مجرد محجبة ثم خلعت الحجاب

فهؤلاء ليسوا من أقصدهم اليوم، وإنما أريد أن أتكلم عن شخص سار في العمل للدين، وبذل وأصبح كادرًا من الكوادر المؤثرة، وفُتح عليه في باب من أبواب العمل للدين،

ثم هو لم يتركه فحسب؛ وإنما حدث له نوع من تغير المفاهيم، والانقلاب على عقبيه، فأصبح يؤصّل لعكس ما كان يدعو إليه.

فمثلاً امرأة كانت محجبة ثم خلعت الحجاب؛ وهذه مجرد معصية، إذ ليس معنى خلعها للحجاب أنها أصبحت عاهرة، بل يمكن أن تكون محترمة، لكنها عند الله آثمة على هذا الفعل، فهي كانت تقوم بطاعة وتركتها، لكن الأخطر هو أن تنتقل من مفاهيم وأفكار وبيئات وقضايا كانت تدافع عنها إلى عكس هذا تمامًا، فتنتقل إلى مكان آخر وتدعو فيه إلى الفساد. أو شخص كان ينصر دين الله ويدعو إلى الله، ويقف على ثغر من ثغور الدين، ثم تجده يؤصل لعكس ما كان يدعو إليه!

فمن المستغرب أننا أصبحنا نجد نوعًا من الانقلاب على الأعقاب، والرجوع والتغيّر في المفاهيم في حياة الكوادر، وليس عامة الناس!

فهو لم يترك طاعة كان يعملها فحسب؛ كأن كان محافظاً على صلاة الفجر في المسجد فتركها – وهناك بفضل الله كثير من إخواننا الدعاة قد أتقنوا وتكلموا في مسألة كيفية المحافظة على الإيمان، وعوامل ضعف الإيمان والفتور–، وإنما كان كادراً في العمل للدين ثم حدث له تغيّر في مفاهيم حياته.

وقد بدأت بحديث النبي ﷺ وأنه كان يستعيذ من الحور بعد الكور، والدرس عبارة عن مجموعة من النقاط غير المرتبة؛ فهو أشبه ما يكون بالفضفضة، وكل نقطة من هذه النقاط تصلح أن تكون درسًا بمفردها، لكنني جمعتهم في درس واحد مركز؛ لذلك سوف يكون درسًا دسمًا بعض الشيء؛ لأننا جميعنا معرضون لهذا، المتكلم والمستمع، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يكثر من الدعاء: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، وكان يقول (اللهم إني أعوذ من الحور بعد الكور)، وإبراهيم –وهو إمام الأنبياء– عليه السلام كان يقول: {وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ}[إبراهيم ٣٥]؛ إذًا فالأمر وارد أن يقع فيه الإنسان، ولا يوجد أحد بعيد عن الفتنة.

فأزمة الاستضعاف العالمي التي يمر بها الإسلام، وتنصّل الدول من دعم أي تيار ينصر الإسلام، والأزمات الاقتصادية الرهيبة، وكذلك الأزمة السياسية التي جعلتنا في حالة من حالات الاستضعاف لما يقرب من خمس سنوات، وفشل ما يسمى "بالربيع العربي"، وسقوط الرموز، ومجموعة كثيرة من العوامل- كي لا نكون سطحيين-؛ كلها ساهمت في ذلك، ومن العجيب أن تجتمع هذه العوامل الكثيرة المتضادة والمتراكبة والمتناحرة في دولة واحدة!

هذا بالإضافة إلى التقلبات في الدول من دولة كانت تنصر شيئًا ثم انقلبت على عقبيها، ودول تغير أفكارها كالسعودية مثلًا، **كل ذلك جعل الناس تتنصل من نصرة القضايا التي يحملها الآن المستضعفون**، فتجدهم يقولون لماذا ننصر قضية مستضعفة ومهزومة -في ظنهم طبعا-، وبالطبع ليس كل من يحور يقول ذلك.

بداية الدرس :

هذه كانت مقدمة، ولنبدأ درسنا الآن:

كان ﷺ يقول هذا الدعاء في أثناء سفره

- وهذا من العجيب؛ فعليك أن تستحضر أنك مسافر في طريق إلى الله ﷻ، وهناك أدعية كثيرة للسفر؛ منها: أنه ﷺ كان يستعيذ من الحور بعد الكور، كما في صحيح مسلم وعند أحمد وابن ماجه والترمذي وغيرهم، وكان ﷺ يستعيذ أثناء السفر فيقول: (أعوذ بك من وعثاء السفر)، ويقول: (أعوذ بك من الحور بعد الكور).

ما معني الحور .. أقوال العلماء:

- "حار" تعني: رجع.
- والكور : إما من كور العمامة.
- وفي إحدى الروايات: (بعد الكون) أي أنه يرجع بعد أن استقر في مكان معين في الدين.

❖ وقد جمعت لكم مجموعة من أقوال العلماء في معنى الحور بعد الكور:

- ففي الحاشية على ابن ماجه قال: **النقصان بعد الزيادة**؛ وذلك بأن يكون الإنسان على حالة جميلة، فيحورعن ذلك؛ أي: يرجع.

والناس قد تتوقع أنه الكفر بعد الإيمان فقط، وهذا مروي عن بعض الشراح بأن النبي ﷺ كان يستعيذ من الكفر بعد الإيمان كما قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان)[٣]، السبب الثالث من هذه الأسباب هو: (أن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار)؛ بمعنى أن تكره الحالة القديمة، فعندما تكون عاصيًا ثم تنتقل إلى حالة معينة من حالات الإيمان، فإنك تكره أن ترجع إلى الوضع القديم.

لكن انتبه هنا إلى تعبيرات الشراح؛ حيث أن "الحور بعد الكور" ليس مجرد الانتقال إلى الكفر، بل هو أي نقصان في حالة جميلة كنت فيها؛ أو نزول عنها ولو درجة واحدة، فالنبي ﷺ لا يريد حتى هذا النزول مهما كان.

- وكذلك قالوا: هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية.
- أو مثلما قال ابن البطال: الرجوع عن أي زيادة.
- وقال ابن عبد البر: الرجوع عن الاستقامة عمومًا.

إذًا؛ فعندما يرتقي الإنسان منا درجة في الإيمان يعلمنا النبي ﷺ أن ندعو الله ألا ننزل هذه الدرجة.

وقد أصبح الآن عند بعض الناس حساسية من استعمال لفظ "**الانتكاس**"؛ لذلك استعملت لفظًا نبويًّا استعمله النبي ﷺ لنخرج من دائرة الخلاف والتصنيفات، وقولهم أنتم سلفيون أو لكم تصور معين- ، فنحن مطالبون تأسيًا بالنبي ﷺ أن نخاف وندعو الله ﷻ: (اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور)، فمن يرتقي درجة في الإيمان يجب أن يخاف أن ينزل عنها، ويدعو الله ﷻ أن يثبته عليها.

---

[٣] [عن أنس بن مالك:] ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)

وبعيدًا عن أن لديكم مفاهيم معقدة عن الانتكاس، وحالةً من تضخيم هذه المفاهيم –وأنا لا أتكلم عن هذا–، وإنما أتكلم عن إنسان ارتقى درجة ونزل منها، فهو مطالب أن يدعو الله ﷻ، ويرتقي مرة أخرى ويندم على ضياع الحالة التي كان فيها.

وهذا ليس عن مَن عمل طاعة ثم تركها؛ كما كان النبي ﷺ يقول لعبد الله بن عمر: (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل)[٤] ، و(لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل)[٥]؛ فهذا حديث عن النبي ﷺ معناه: لا تكن مثل الذي كان يعمل طاعة وتركها، وهذا مفهوم هام يجب أن نركز عليه، لكنه ليس الموضوع الأساسي الذي أتحدث عنه اليوم؛ فأنا أتحدث عن إنسان كان يسير في الطريق إلى الله.

والطريق لنصرة الدين عمومًا صعب وفيه مشقات، فقد قال ﷺ: (حفت الجنة بالمكاره)[٦]، ولا سيما الأمور العليا في الدين مثل نصرة الدين، والجهاد في سبيل الله، وطلب العلم والدعوة، فهذه من الأمور العليا؛ ولذلك تجد في القرآن تحفيزًا عاليًا عندما تُطلب منك هذه الأمور، فمثلًا عندما تُطلب منك نصرة الدين والجهاد يأتي تحفيز عالٍ جدًّا بأن الله سبحانه يملك لك رزقك وبيده الحياة والموت، وأنه سيعطيك الدرجات العلى من الجنة، فيذكرك بالمقامات العالية.

تخيل مشهد السير :

فالسير في هذا الطريق صعب وهو أشبه بالسير في الصحراء؛ طريق متعب مؤلم، والزاد فيه قليل والصحبة فيه قليلة، وكلما توغلت في السير فيه، قل عدد من حولك؛ منهم من يسقط ومنهم من يتوقف، فيقول سأتوقف عند هذه المرحلة وأبقى في هذه النقطة، ولا أريد أن أكون في درجات أعلى.

---

[٤] [عن عبدالله بن عمر:] رَأَيْتُ على عَهْدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كَأَنَّ بيَدِي قِطْعَةَ إسْتَبْرَقٍ، فَكَأَنِّي لا أُرِيدُ مَكانًا مِنَ الجَنَّةِ إلَّا طارَتْ إلَيْهِ، ورَأَيْتُ كَأَنَّ اثْنَيْنِ أَتَيانِي أَرادا أَنْ يَذْهَبا بي إلى النارِ، فَتَلَقّاهُما مَلَكٌ، فَقالَ: لَمْ تُرَعْ خَلّيا عنْه، فَقَصَّتْ حَفْصَةُ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إحْدى رُؤْيايَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: نِعْمَ الرَّجُلُ عبدُ اللَّهِ لو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكانَ عبدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، وكانُوا لا يَزالُونَ يَقُصُّونَ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الرُّؤْيا أنَّها في اللَّيْلَةِ السّابِعَةِ مِنَ العَشْرِ الأواخِرِ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أَرى رُؤْياكُمْ قدْ تَواطَأَتْ في العَشْرِ الأواخِرِ، فَمَن كانَ مُتَحَرِّيَها فَلْيَتَحَرَّها مِنَ العَشْرِ الأواخِرِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١١٥٦ • [صحيح]

[٥] لا تَكُن مثلَ فلانٍ كانَ يقومُ من اللَّيلِ فترَكَ قيامَ اللَّيلِ
العراقي (ت ٨٠٦)، طرح التثريب ٩٨/٢ • صحيح

[٦] حُفَّتْ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ وحُفَّتْ النارُ بالشَّهواتِ
العيني (ت ٨٥٥)، عمدة القاري ٣٦٧/١٠ • صحيح

وقد قال النبي ﷺ للصحابة في حديث للبخاري بعدما ذكر الأركان الخمسة: (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وصلى وزكى وصام وحج) قال (دخل الجنة سواءً جاهد في سبيل الله أو قعد في بيته)[٧]،

فالصحابة لما سمعوا هذا فهموا أن المرء إذا اكتفى بأن يحافظ على الأركان الخمسة، وابتعد عن الكبائر والمعاصي فإنه يدخل الجنة، فقالوا: "يا رسول الله سواء جاهد في سبيل الله أو قعد في بيته؟"، وقد كان بإمكان النبي ﷺ أن يقول نعم؛ لأنه قال نفس الجملة للتو، لكن لما سألوه لم يرد عليهم بنعم، بل قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض).

فالنبي ﷺ أراد أن ينقل تفكيرهم.

فنحن عندنا نوعين من الخطاب:

- خطاب لعموم الناس أنه يمكن أن تعمل كذا وكذا وتدخل الجنة.
- لكن أنتم –الصحابة- منّ الله ﷻ عليكم بالصحبة ومنّ عليكم بهذا النعيم؛ لذلك أنا أكلمك عن درجات الجنة وفي النهاية أنت تختار.

هي درجات عند الله وأنت تختار درجتك في الجنة، فيحاول ﷺ أن ينقل الناس إلى مقام عالٍ، وهذا أحد الأسباب التي تؤدي إلى السقوط؛ فالخطاب العالي يحتاج إلى فئة معينة تخاطَب به، فهو موجود في القرآن والسنة، لكن يحتاج فهمًا لكيفية التعامل معه.

نعود للمثال السابق مرة أخرى: تخيل أنك تسير في طريق في صحراء، والعدد يقل، وأنت تريد أن ترتقي أكثر، وكلما ارتقيت أكثر في نصرة الدين والبذل، تجد كثيرًا ممن حولك يتوقف ..

وأنت في منتصف الطريق، يبدأ زادك يقل، وزادك هو الإيمان.

[٧] [عن أبي هريرة:] مَن آمَنَ باللَّهِ ورَسولِهِ، وأَقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ، كانَ حَقًّا على اللَّهِ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هاجَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، أوْ جَلَسَ في أرْضِهِ الَّتي وُلِدَ فيها، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بذلكَ؟ قالَ: إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أعَدَّها اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ ما بيْنَهُما كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ، وأعْلى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧٤٢٣ • [صحيح]

يوضح الله تعالي لك عقبات هذا الطريق في كتابه فيقول ﷻ:

- {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}[النساء ١٠٤]، فأنت ستجد ألما في الطريق إلى الله،
- {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ}[آل عمران ١٤٠]، هناك قرح وألم سيصيبك أحيانًا في الطريق، لكن أنت معك من الإيمان ما يصرف عنك الألم
- {وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}[النساء ١٠٤]، فالرجاء في الله، وفي ثواب الله، وفي رؤية وجه الله ينسيك الألم .. **لكنه موجود**.

ويوجد درس من الممكن أن ترجعوا إليه في هذا المعنى اسمه: "أفلا أكون عبدًا شكورًا" قام عليه الصلاة والسلام حتى تورمت قدماه. إذًا؛ فهناك ألم، لكنه يجد من اللذة ما يدفع بها هذا الألم.

❖ فمتى نشعر بالألم؟

متى يبدأ إنسان يقوم الليل ورجله تتورم وهو لا يشعر بذلك ثم يبدأ بالشعور بالألم؟

عندما تقِل اللذة، وتنضب المعاني التي يعايشها، يتذكر أن رجله متورمة، فيقول أنا وقفت منذ فترة وضحيت، فيبدأ ينظر إلى ما قدم عندما تنضب المعاني التي كان يعيشها.

وهذا ما يحدث في منتصف الطريق عندما يفقد الزاد، فيبدأ بالنظر خلفه، ويرى أنه قد قطع كل هذا الطريق، فيستصعب الانتكاس أو الرجوع أو الحور، وينظر إلى الأمام فيجد الطريق صعبًا و موحشًا؛ لأن الناس تسقط وهو ليس معه زاد، وقد كان يراه من قبل بصورة وردية؛ **لأنه كان معه إيمان**، وهذا أخطر شيء قد يحدث للعامل؛ فمن الممكن أن يؤدي به إلى الإنتحار. فهو يشعر أنه دخل مكانًا صعبًا، ورمى نفسه في ثغر من الثغور ثقيل عليه، ثم فقد الزاد الإيماني والصحبة الصالحة وعلاقته بكتاب الله والدعاء و التضرع والإستغاثة في منتصف الطريق ..

القرار الحاسم :

- فإما أن يستقر في هذا الوضع ويؤدي نصرة الدين كحالة من الطقوس دون أن يشعر بأي معنى.
- أو يختار الرجوع؛ لأنه يشعر أن الطريق صعب.
- أو يشعر بحالة من الإحباط وفقدان الأمل، وهذا –والعياذ بالله– ومن الممكن أن ينتحر!

هل من الممكن لمن كان يعمل للدين أن ينتحر؟!

نعم، فهناك شخص خرج مع النبي في الجهاد ومن شدة الألم انتحر؛ جُرح ولم يتحمل الألم، فطعن نفسه؛ لأنه لم يجد عنده لذة تدفع هذا الألم ليتحمله.

فالإشكال هو أننا أحيانًا قد نقع في مثل هذا الأمر؛ فنطرح للناس فكرة أن الطريق كله مفروش بالورد، مع أنه يوجد هناك ابتلاءات، كما قال الراهب للغلام في قصة أصحاب الأخدود: "إنك ستبتلى"[٨]، والله سبحانه قال للصحابة {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}[الأنفال ٧]، فأحيانًا سيكون هناك شوكة وابتلاء.

[٨] [عن صهيب بن سنان الرومي:] كانَ مَلِكٌ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، وكانَ له ساحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قالَ لِلْمَلِكِ: إنِّي قدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكانَ في طَرِيقِهِ، إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فأعْجَبَهُ فَكانَ إذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلكَ إلى الرَّاهِبِ، فَقالَ: إذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبيْنَمَا هو كَذلكَ إذْ أَتَى علَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقالَ: اليومَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فأخَذَ حَجَرًا، فَقالَ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إلَيْكَ مِن أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِه الدَّابَّةَ، حتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخْبَرَهُ، فَقالَ له الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليومَ أَفْضَلُ مِنِّي، قدْ بَلَغَ مِن أَمْرِكَ ما أَرَى، وإنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكانَ الغُلَامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِن سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قدْ عَمِيَ، فأتَاهُ بهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقالَ: ما هَاهُنَا لكَ أَجْمَعُ، إنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فإنْ أَنْتَ آمَنْتَ باللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ باللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فأتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كما كانَ يَجْلِسُ، فَقالَ له المَلِكُ: مَن رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قالَ: رَبِّي، قالَ: وَلَكَ رَبٌّ غيْرِي؟ قالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فأخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الغُلَامِ، فَجِيءَ بالغُلَامِ، فَقالَ له المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فأخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ علَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بالرَّاهِبِ، فَقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى، فَدَعَا بالمِنْشَارِ، فَوَضَعَ المِنْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بجَلِيسِ المَلِكِ فَقِيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى فَوَضَعَ المِنْشَارَ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ به حتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فَقِيلَ له ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبَى فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به إلى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا به الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ، وإلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا به فَصَعِدُوا به الجَبَلَ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَرَجَفَ بهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ، فَقالَ: اذْهَبُوا به فَاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا به البَحْرَ، فإنْ رَجَعَ عن دِينِهِ وإلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا به، فَقالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلى المَلِكِ، فَقالَ له المَلِكُ: ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقالَ لِلْمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ به، قالَ: وَما هُوَ؟ قالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي علَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِن كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ علَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قالَ: باسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ في مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ له: أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قدْ واللَّهِ نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ، قدْ آمَنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقالَ: مَن لَمْ يَرْجِعْ عن دِينِهِ فأحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ له: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ ومعهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقالَ لَهَا الغُلَامُ: يا أُمَّهْ، اصْبِرِي فإنَّكِ علَى الحَقِّ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٣٠٠٥ • [صحيح]

❖ فما الذي يؤدي إلى ذلك -الحور بعد الكور-؟

- النقطة الأولى هي: **أنه أحيانًا يحدث صراع داخل الإنسان** -وهذا قد تكلم بعض الناس عنه في الفترة السابقة وكتبوا عنه منشورات كثيرة-.

الصراع بين التصور المثالي والتصور الواقعي؛ فعندما يسمع أحد ما طرحًا دينيًّا عاليًا يكوّن في مخيلته تصورًا مثاليًّا عن الشخص الملتزم، أو الشخص المستقيم، أو أي مصطلح كان: "مستقيم، أوعلى هدى" .. فيجاهد ويحاول أن يكون أفضل؛ لأن لديه تصورًا في مخيلته يريد تطبيقه على أرض الواقع، فيجد تصادمًا.

لأنه عندما ينزل إلى واقع العمل، والجامعة، والحياة، والزواج، والأولاد، يجد أنه لا يستطيع تطبيق كل ما يسمعه، فيشعر بحالة من النفاق، وأنه لا يستطيع أن يكمل، **فيبدأ يكفر بما يسمعه**

وهذه إشكالية؛ أنه لا يفهم كيف يتعامل مع الخطاب العالي.

- وهذه تنقلنا إلى النقطة الثانية: حيث أن بعض الناس يقولون أنتم -الدعاة- تخاطبون الناس بخطاب عالٍ عليهم.

وهذه أيضًا مشكلة -بما أنه درس فضفضة-،

فهناك أشخاص فعلًا ارتقوا ووصلوا إلى مرحلة معينة من الالتزام ويحتاجون إلى خطاب عالٍ؛ فهذه نقطة.

والنقطة الأخرى؛ أن هناك فعلًا كلمات عالية في القرآن والسنة؛ مثل:

- {أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا}[الزمر ٩]
- {لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا}[الكهف ٦٠]
- وقصة ذي القرنين في الجهاد وانتقاله من مشرق الأرض إلى مغربها

ماذا نفعل بهم!!! عندنا نصوص عالية، فماذا نفعل معها؟!

ألا يقول البعض خاطبوا الناس بكلام من الكتاب والسنة؟!، فهذه جمل من الكتاب والسنة.

فهناك خلل في التعامل مع هذه الجمل، وفي فهمها، فليس معنى أنك لا تستطيع تطبيقها الآن أنك فاشل.

- وهذه هي النقطة الثالثة: أن لا يستطيع الشخص أحيانًا أن يفرق بين علو الهمة والطمع في الدين؛ وهذه النقاط الثلاث مترابطة فيما بينها.

إذًا؛ فالنقاط هي:

١. الصراع بين التصور المثالي والواقعي.
٢. عدم القدرة على التفريق بين علو الهمة والطمع.
٣. الخطاب العالي في الكتاب والسنة، أو الذي يُلقى من بعض الدعاة وتُقصد به فئة معينة يخاطبهم.

كما أن هناك بعض الكتب المخصصة، فعندما تذهب إلى المكتبة وتجد كتاب متن فقه مشروح، أو حديثًا مشروحًا بصورة عالية، أو تجد أشياء متقدمة في الأسانيد أو التفسير، فلو اشتراه شخص من عامة الناس لم يطلب علمًا بعدُ، لن يفهمه؛ لأن هذه الأشياء غالبا تحتاج إلى الشرح، أو أن يُخاطب بها بعض الناس الذين قطعوا شوطًا معينًا، لأن بعض الكلمات تُخاطب فئة مخصوصة، ومن الممكن لبعض الناس أن يفتن بها.

❖ الصراع بين التصور المثالي والواقعي :

بالنسبة لأول نقطة، يجب أن يتعود الإنسان على أن هناك مجاهدة، وأن الصورة الملائكية –المثالية– التي تبحث عنها **ليست موجودة**، فقد قال النبي ﷺ لسيدنا حنظلة عندما كان يشعر بمفارقة بين حاله عندما يكون جالسًا في مجلس النبي وكأنه يرى الجنة والنار رأي العين، وبين حاله عندما يذهب إلى بيته ويجلس مع زوجته والأولاد والضيعات، ويشعر بالتغير، ثم يقول: "نسينا كثيراً"[٩]، واتهم نفسه بالنفاق.

[٩] [عن حنظلة بن حذيم الحنفي:] لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يا حَنْظَلَةُ قالَ: قُلتُ: نافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحانَ اللهِ ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرنا بالنارِ والْجَنَّةِ، حتّى كَأنّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإذا خَرَجْنا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عافَسْنا الأزْواجَ والأوْلادَ والضَّيْعاتِ، فَنَسِينا كَثِيرًا، قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَواللهِ إنّا لَنَلْقى مِثْلَ هذا، فانْطَلَقْتُ أنا وَأَبُو بَكْرٍ، حتّى دَخَلْنا على رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلتُ: نافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَما ذاكَ؟ قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرنا بالنارِ والْجَنَّةِ، حتّى كَأنّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإذا

فأخبره النبي ﷺ أن هذا ليس نفاقًا، فالنفاق هو أن تستمرئ هذا الوضع، وتُوقف حضور هذا الدرس تمامًا، وتبدأ بارتكاب المعاصي، وتعيش حالة معينة فيها مصلحة ما وترك للدين، بهذا تكون قد بدأت تخسر.

فسورة المنافقون -التي تتكلم عن المنافقين والنفاق- جاء في آخر مقطع فيها: {لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ}[المنافقون ٩]؛ لماذا؟ لأنها الدركة الأولى في سلم النفاق؛ أن تنشغل انشغالًا تامًّا.

لكن كونك تذهب إلى مجلس النبي ثم تعود إلى الزوجات والضيعات والأولاد، وحياتك بين هاتين ساعة وساعة: ساعة ترى فيها الجنة رأي عين، وساعة في المباحات والعمل والدنيا والزوجة والأولاد؛ فإن حياتك بذلك تكون مستقرة.

وما عدا ذلك **تكون صورة ملائكية**؛ فقد قال النبي ﷺ: (لو أنكم تدومون علي الحال التي تكونون فيها عندي وعلى الذكر لصافحتكم الملائكة في الطرقات).

فالتصور الملائكي هذا لست مطالبًا به، لكنك مطالب بمفهوم "ساعة وساعة"، فهذه الصورة المثالية قد اختلف العلماء فيها إن كان هناك بشر يطيقونها أم لا.

لكننا نتكلم عن مستوى "**خاطبوا الناس بالعموم**"، وهذا العموم هو: ساعة وساعة.

إذًا؛ فهناك تصور خاطئ أحيانًا -سواء قاله الداعية أو تخيله أحد- أن من يعمل للدين وينصره لا يذنب! كلا، فكلنا نذنب، وكل بني آدم خطاء.

❖ عدم القدرة على التفريق بين علو الهمة والطمع

وهناك إشكالية ظهرت مع الانفتاح على وسائل التواصل الاجتماعي "السوشيال ميديا" هي: أن الإنسان يريد أن يكون كل النماذج؛

يجرب أن يكون نموذج "الفقيه" فيفشل، ونموذج "العالم المتخصص في مسألة معينة" فيفشل، أو نموذج "المجاهد" فلا يستطيع، أو نموذج "المتميز في العمل الخيري" لا يستطيع أيضًا؛ لأنه يبحث عن النماذج

خَرَجْنا مِن عِندِكَ، عافَسْنا الأزْواجَ والأوْلادَ والضَّيْعاتِ، نَسِينا كَثِيرًا فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: والَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ على ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعَةً وَساعَةً ثَلاثَ مَرّاتٍ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٥٠ • [صحيح]

العالية، وبالتالي يحدث له نوع من الصدمات؛ فيقول أن هذا ليس طريقي، ما الذي جاء بي مع هؤلاء؟ ويتركه؛

فهو لا يتصور أن يكون شخصًا عاديًّا؛ إنسانًا مسلمًا يطيع الله ويدخل الجنة، هذه هي إمكانياته.

بينما من المتقبل جدًّا عند أهل الدنيا أن يكون هناك طالب يدرك أن لديه إمكانيات معينة فيرضى بها، وكذلك أهله يرضون بذلك، فهذه هي إمكانياته الدنيوية؛ فلديه ذكاء متوسط، أو تفكير متوسط، وبالتالي يدخل كلية معينة ويعمل بوظيفة معينة،

وهذا وارد في الدين أيضًا،

ومن الممكن أن يكون هذا الشخص الذي نراه عاديًّا أفضل عند الله من أي شخص منا.

فالمعاملة هناك مختلفة، فالشخص الذي يحافظ على الصلاة -وليس هناك أجمل من هذه الصورة-، ويستطيع أن يحافظ عليها، ويتقي الشبهات والحرام، من الممكن أن يكون ليس بكاسد عند الله وإن رأى نفسه عاديًّا.

لكننا نتيجة نموذج "السوبر مان"، والشخص المميز جدًّا، والتنوعات الرهيبة التي نراها على وسائل التواصل الاجتماعي "السوشيال ميديا"، نجد مَن يريد أن يكون مثل فلان عنده إعجابات ومشاهدات كثيرة، وفلان متميز في كذا، **وهذا يسبب حالة من الطمع وليس علو همة**، والطمع عندما لا يستطيع بلوغه ينقلب إلى إحباط؛ فيقول: أنا فاشل، ولن أكمل في هذا الطريق، ولن أستطيع أن أحصل دينًا ولا دنيا، ويترك الطريق -تكلمت عن هذه الفكرة في درس: "أرجوك لا تنصرف".. هذا التفكير خاطئ، **ويجعلك تتعامل مع الدين تعاملًا دنيويًّا.**

❖ إذًا؛ فكيف نتعامل مع النصوص القوية العالية؟

نتعامل معها على أنها كمال النهايات، وليست نقص البدايات.

- {أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ} [الزمر ٩]
  - لا يلزم أن تداوم عليها أولًا،
  - وهي لا تأتي في يوم وليلة، وإنما هي نتيجة مجاهدة سنوات.

فكثير من السلف قالوا جاهدت قيام الليل سنة أو عشرين سنة.

لكن المشكلة أن الإنسان يريد أن يكون متقنًا لحفظ القرآن في ثلاثة أشهر! أو يريد أن يكون قوامًا، ويجد لذة قيام الليل في ستة أشهر! كلا، إنه طريق طويل.

يسمع أحدهم عن لذة القيام، وتسمع إحداهن عن لذة الدعوة إلى الله، وهي في قمة الاحتشام والنقاب، فينتقلون نقلة فجائية؛ فيُفاجأ بفجوة بين الوضع الذي كان فيه والنقلة التي انتقلها في الدين، ولا يتحملها؛ فيترك، وهذه هي النقطة الرابعة.

والنقاط الثلاث السابقة هي: الصراع بين التصور المثالي والواقعي، الفارق بين علو الهمة والطمع، النصوص العالية التي تقابلنا والتعامل الخاطئ معها؛ بحيث نعتقد أنها يجب أن تطبق فورًا؛ مع أن هناك نصوصًا تقول: (لن يشاد أحد الدين إلا غلبه)[١٠].

✓ أوغل في الدين، وضع لك هدفًا أن ترتقي في الدين

لكن برفق؛ (إن الله لا يمل حتى تملوا)[١١] – وقد وجد رسول الله ﷺ حبلًا مشدودًا في المسجد فقال: (حِلوه)[١٢]

❖ لا يذل أحدكم نفسه:

والنقطة الرابعة: هناك حديث غريب حسَّنه بعض أهل العلم، وهو نقطة مهمة؛ فقد قال النبي ﷺ: (لا ينبغي لأحدكم أن يذل نفسه، قالوا:كيف يا رسول الله، قال: أن يتعرض من البلاء لما لا يطيقه)[١٣].

والحديث على العموم والظاهر من الممكن أن يحمل على أي شيء؛ مثلًا: لا تذل نفسك وتضعها في مواقف قد تتعرض فيها لبلاء لا تستطيع تحمله.

---

[١٠] لن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه
الشوكاني (ت ١٢٥٥)، السيل الجرار ١٤٣/٢ • صحيح

[١١] [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا باللَّيْلِ فيُصَلِّي عليه، ويَبْسُطُهُ بالنَّهارِ فيَجْلِسُ عليه، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيُصَلُّونَ بصَلَاتِهِ حتَّى كَثُرُوا، فأقْبَلَ فَقالَ: يا أيُّها النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حتَّى تَمَلُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعْمَالِ إلى اللَّهِ ما دامَ وإنْ قَلَّ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٨٦١ • [صحيح]

[١٢] [عن أنس بن مالك:] دَخَلَ النبيُّ ﷺ فإذا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقالَ: ما هذا الحَبْلُ؟ قالوا: هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فإذا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: لا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أحَدُكُمْ نَشاطَهُ، فإذا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١١٥٠ • [صحيح] • أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤)

[١٣] [عن حذيفة بن اليمان:] لا يَنبغي للمُؤمنِ أن يُذلَّ نفسَه قالوا: وكيف يُذلُّ نفسَه؟ قال: يتعرَّضُ مِن البلاءِ لما لا يُطيقُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٢٥٤ • صحيح

والكثير من العلماء كابن عبد البر وابن كثير وغيره، وضعوه في موضع معين؛ **فغالبًا يوضع هذا الحديث مع حديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**؛ فقد وضعه ابن كثير وسط أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في سورة المائدة أو سورة آل عمران، وكذلك ابن عبد البر وضعه وسط أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمام ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" وضعه مع حديث: (من رأى منكم منكرًا فليغيره)[١٤].

- فلم وضعوا هذا الحديث في هذا الموضع؟

لأنك أحيانًا قد تضع نفسك في مقامٍ من الدين لا تتحمله، فتحاول أن تنكر منكرًا، وأنت لا تتحمل تبعات هذا الإنكار؛ فتذهب لتنكر منكرًا فتتعرض لأذى لا تستطيع أن تتحمل تبعاته؛ لذلك تكلم العلماء في مسألة إذا وجد أحدهم منكرًا وكان إنكاره للمنكر يؤدي إلى أذى، فهل عليه أن ينكر أم لا؟

وقد فرق العلماء في ذلك؛

- فقالوا إذا كان الأذى هو مجرد الاستهزاء بك فهذا لا يمنعك.
- أما إن كان الأذى ضربًا، وسجنًا، وقتلًا، ويتعدى إلى أهلك وزوجتك وأولادك، وأنت موقن بأنك لا تتحمله،؛ فلا تنكر هذا المنكر.
- أما إذا كنت ستتأذى أذى شديدًا –كأن تقتل مثلًا– وكنت قادرًا على تحمله، فقد قالوا بأنه إن عاد على نفسك لوحدك لا على غيرك وأنت موافق فأنت حر.
- وقال بعضهم بأن الأفضل هو أن تنكر، لكن الساكت ليس عليه إثم.

إذًا؛ **لا ينبغي لأحدكم أن يذل نفسه**؛ فأنت أحيانًا تضع نفسك في مقام من الدين لا تتحمله.

كأن يتحمس أحدهم ليرد على الشبهات، ثم يجد نفسه قد تلبس بالشبهات، فيصبح بحاجة إلى أن يرد على ذلك الشخص حتى لا ينهزم، وإلى أن يرد أحدهم على الشبهات التي في صدره، ومثل هذا

---

[١٤] [عن أبي سعيد الخدري:] أَوَّلُ مَن بَدَأَ بالخُطْبَةِ يومَ العِيدِ قَبْلَ الصَّلاةِ مَرْوانُ. فَقامَ إلَيْهِ رَجُلٌ، فقالَ: الصَّلاةُ قَبْلَ الخُطْبَةِ، فقالَ: قدْ تُرِكَ ما هُنالِكَ، فقالَ أبو سَعِيدٍ: أمّا هذا فقَدْ قَضى ما عليه سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَن رَأى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٤٩ • [صحيح]

الشخص من الممكن أن يفتن أحيانًا –ونحن نراه عند بعض الناس– وهذا سبب رجوع الكثير وابتعادهم عن الطريق؛ أنهم نقلوا أنفسهم إلى مكان في الدين يوجد فيه الكثير من الخلاف؛ من "مداخلة" و"دواعش" وغيرهم من الفرق والردود عليهم؛ فيقول: لم أكن أعلم أن ديننا فيه خلاف فيرجع.

أو يدخل نفسه في منطقة خلافية –كأن يريد أن يرد على الأشاعرة مثلًا–؛ ثم يصدم بعد أن كان لديه تصور رومانسي بعض الشيء؛ فبعد أن كان يظن أن أكبر ابتلاء في حياته هو ترك الشهوة، وأنه سيترك الفتاة التي كان يحبها، فوجئ بأنه عندما دخل الطريق بدأت الابتلاءات، وجد أن مَن سيكمل في طريق الدين سيواجه ابتلاءات كثيرة.

فعندما تدخل نفسك في موضع من الدين وليس معك الزاد الخاص به، أو تدخل نفسك في منطقة خلافية صعبة؛ كمنطقة جهاد، أو دعوة، أو منطقة رد على الشبهات، **ثم تتوقف عن التزود بالزاد الذي كان معك في البداية**؛ وهو الإيمان، والدعاء، والتضرع، والقرآن، والوعظ، وحضور مجلس ما؛ فتقول أنا لم أعد بحاجة إلى ذلك، فأنا الآن أرد على الشبهات، وأدعو إلى الله، وأنا داعية مشهور، ويبدأ يترك هذا الزاد؛ فيُفاجأ بابتلاءات في الطريق تشعره أنه دخل مكانًا غريبًا، ويشعر بثقل وضغط.

والخطأ ليس في المكان؛ فهو مكان يحبه الله ورسوله، وهناك أناس يرتقون في الجنة؛ لأنهم وصلوا إلى هذا المكان، **لكن الخطورة هي أنك قد تركت الزاد**؛ فأصبحت أشبه بمن يسير في الصحراء، وقد فقد الماء.

فالإشكال إذًا ليس في وصولك إلى هذا المكان، وإنما في كونك قد تركت النور، وهذا المكان يحتاج إلى نور، و زاد، وماء، وغذاء، وهذا – أي حديث لا ينبغي لأحدكم أن يذل نفسه– يقودنا إلى نقطة أخرى؛ وهي تقريبًا من أخطر النقاط التي أحدثكم فيها اليوم؛ وهي: **الدين الثوري**.

❖ الدين الثوري:

فبعد عام ٢٠١١ كانت من أبرز المشكلات التي حدثت عند كثير من الشباب والفتيات هي أن الدين أصبح مجرد حماس، وأصبح محور ومرتكز الدين لديهم هو دفع الظلم، فالولاء والبراء، والصواب والخطأ كله قائم على دفع الظلم فقط، ومع أن هذه نقطة عظيمة في الدين، لكن الذي يريدها يحتاج

زادًا من الإيمان والعلم والدعوة لتطبيق ذلك، وهذا ليس موجودًا عندهم، فالموضوع عندهم مجرد حماس ثوري، وأن الدين هو أن ندفع الظلم.

نعم هذا أمر عظيم في كل الشرائع؛ كما قال الإمام القرطبي في موقف سيدنا موسى في سورة القصص: "أن دفع الظلم أمر فطري في كل الشرائع"؛ لذا فهذا لا يُنكر، لكن المشكلة هي أن يتحول هذا إلى مركز الولاء والبراء، ويكون هذا هو دين الشخص: أن يدفع الظلم فحسب.

إذًا؛ أين التوحيد في منظومة الدين؟ وهل عندك علوم شرعية؟

هل عندك من العلم ما تستطيع به دفع الظلم؟

وأصبح يوجب على الناس أشياء لا يوجبها الله؛ فيظن أن أي شخص لا يسب الظالم منتكس، وهل أوجب الشرع على كل فرد أن يسب الظالم؟!، أم كل بحسبه ووضعه له درجة مختلفة؟

فلو عدنا إلى كلام أهل العلم، من الذي قال بأن هذا يجب على كل شخص؟ -وغالبًا حتى لو قام العالم بهذا فلن يأبه له أحد-.

هناك فارق بين مناصرة الظالم وأن تدعمه وتقره؛ فالثاني ليس فيه عذر.

لكن ما أعنيه مثلًا؛ هو أن تأتي الآن في واقع كواقع السعودية وتطالب كل داعية أو شيخ سعودي أن يسب ابن سلمان؛ هذه سخافة؛ فأنت تطلب المستحيل.

فالبطل الآن هو الساكت الذي عندما يطلب منه أن يكتب تغريدة مدح لا يكتبها، وحتى مثل هذا لا يترك وشأنه.

أما الذي يطبل فهذا هو النموذج السيء، وطبعًا هم دركات في السوء -والعياذ بالله- كل حسب المرحلة التي وصل إليها في الإقرار للظالم.

لكن -ما أتكلم عنه هو- هل ستوجب على كل من هناك أن يتركوا كل أشغالهم الدعوية؟؛ فالذي يرد على الإلحاد، والذي يعمل في دعوة الشباب، والذي يخاطب الفتيات في موضوع الحجاب، كل هؤلاء تريدهم أن يتوقفوا ويسبوا ابن سلمان؟!، ومن لا يفعل ذلك فهو ظالم!، ويذكر مقولة منسوبة

للعز بن عبد السلام انتشرت جدًا – لم أجدها في الكتب– (إذا نزل الزنى في بلد، والداعية تكلم عن الربا فهو في ضلال) –لا أتذكر النص–.

إذا ما وجد أحد الدعاة هجمة شرسة منظمة على الحجاب، فقدم درسًا عن الحجاب ليتكلم عن أهميته، تجد بعض الناس يعلقون على هذا الدرس، ويقولون هل هذا هو وقت الحديث عن الحجاب!، ويسبون الداعية، وهم لا يعلمون متى يكون وقته، لكن لو أن هذا الشخص كان خائفًا على ابنته، وقد كبرت وأرادت خلع الحجاب، فإنه سيقول له أرجوك تكلم عن الحجاب!

وإذا ما جاء آخر ليتكلم عن الإلحاد، يقولون له هل هذا هو وقت الحديث عن الإلحاد؟!، وإذا ما قمت بشيء لتحفظ الأطفال، أو أردت أن تطلب علمًا، كل هذا ليس وقته الآن عندهم؛ فكل ما يريدونه هو أن يترك الناس أعمالهم، ويجيشون ويسيرون في اتجاه واحد؛ فمن قال بأن هذا هو الدين؟!

بالطبع من المهم أن نُأصّل أنّ هذا ظلم؛ فإن لم تستطع أن تقل ذلك تصريحًا، قُله تعريضًا، أو من خلال آية أو حديث؛ تترس بنصوص القرآن والسنة، وأظهر إنكارك للمطبلين، فممكن أن تعرضه بأي طريقة.

أما من يأتي ويقول هل هذا وقت ذلك، فما الذي يريدنا أن نفعله؟ هل يريد أن يجيّش كل الناس ليتجهوا في اتجاه واحد؟ من قال بأن هذا هو الدين؟!

الدين منظومة، وعندما تريد أن تحكم على أحد ما يجب أن تحكم على منهج متكامل، وليس على درس أو اثنين، وكلمة واثنتين؛ كالشيخ الطريفي مثلًا؛ من الخطأ أن تحكم عليه من خلال درس أو تغريدة أو صفحة كتاب؛ فهذا منهج متكامل، وعندما يأتي أحدهم فيقول عنه أنه تابع لأولياء الأمور، فهو إما أنه لم يفهم كلامه، أو أوّل كلمة قالها .. فهو بذلك مدلس .

والشاهد هو أنه قد ظهر لدينا ما يسمى **بالدين الثوري** الذي لا يهتم فيه الشخص بالعلم، وليست الدعوة إلى الله وتحصيل الإيمان من اهتماماته، وخطورة ذلك تظهر حينما تفشل الثورة ويتمكن الظالم؛ فيشعر أن مشروعه قد فشل؛ فمن الأصل فكرة السعي لإدخال الناس الجنة، و(لأن يهدي الله بك

رجلًا)[١٥]، و (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[١٦]؛ كل هذه المعاني ليست في خاطره؛ ولذلك يشعر بأن حياته قد انتهت، ويبدأ يكفر بكل ما سبق؛ وهذا ما يُصدم به الناس.

كشخص مثلًا كان ينشد "سوف نبقى هنا"، والنشيد ينتشر، ثم بعد ذلك ينكر الحجاب، ويكتب نقدًا للحجاب!.

أو شخص آخر كان مشهورًا بالثورة، وكان يتظاهر، ثم يكتب الآن منشورات عن نفي الحجاب، وأنه ليس موجودًا، ويذكر كلامًا تخريفيًّا بأن الحجاب كان للتفريق بين الإماء والحرائر؛ فقد كانت الحرة تلبسه لتتميز عن الأمة، وبما أنه لم يعد هناك إماء فتنزل الحرة إلى مستوى الأمة بدل أن ترتفع الأمة لمستوى الحرة ويلبس الجميع الحجاب!؛ فهو وضع لنفسه منهجًا أصوليًّا استدلاليًّا غريبًا، وكلامه عشوائي ليس فيه أي منهج؛ فهو يريد أن يلغي الحجاب فحسب؛ لذلك أتى بهذه الأشياء، ومن الممكن أن يأتي لك بكلام لبعض العلماء مثل النووي وابن تيمية!، مع أن هؤلاء أنفسهم أجمعوا على أن الحجاب فرض.

إذًا؛ ليست هناك منهجية، وإنما هي التأثر بحالة من الانفضاض كعبارة (نحن خُدعنا)؛ وهذا لأنه كان مضخمًا لقضية معينة؛ وهذه هي خطورة من يتربى على هم الدين فقط!

فلو قلنا هناك أربعة أشياء يجب أن نتربى عليها، وهي: معرفة الله، والدار الآخرة، وهم الدين، وأحيانًا من المهم جدًّا أن توصل للناس الأثر الدنيوي للدين، وأن الله أحيانًا يفتح على الناس :

- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ [الأعراف ٩٦]
- {فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا }[نوح ١٠-١٢]

---

[١٥] [عن سهل بن سعد الساعدي:] أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ يَومَ خَيْبَرَ: لَأُعْطِيَنَّ هذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَه ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسولُهُ، قالَ: فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطاها، فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا على رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطاها، فَقالَ: أيْنَ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ. فقِيلَ: هو يا رَسولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قالَ: فأرْسَلُوا إلَيْهِ. فأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في عَيْنَيْهِ ودَعا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطاهُ الرَّايَةَ، فَقالَ عَلِيٌّ: يا رَسولَ اللَّهِ، أُقاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنا؟ فَقالَ: انْفُذْ على رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَواللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٢١٠ • [صحيح]

[١٦] [عن عبدالله بن عباس:] كُنْتُ في بيتِ ميمونةَ بنتِ الحارثِ فوضَعْتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ طَهورًا فقال: (مَن وضَع هذا)؟ قالت ميمونةُ: عبدُ اللهِ فقال ﷺ: (اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ)
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧٠٥٥ • أخرجه في صحيحه

أي أنه هناك عطاءات لمن يدخل الدين –وهذا حقيقي–؛ فالذي يسير في طريق الله كثيرًا ما يجد من عطاءات الله عليه،

لكن اقتصار الطرح الديني على هاتين النقطتين: الأثر الدنيوي، وهمّ الدين .

خطر جدًّا؛ **لأنهما متقلبتان**؛ فهناك عوامل كثيرة تتحكم فيهما قد لا يدركها كل الناس.

أما معرفة الله والدار الآخرة **فهي عوامل ثابتة**؛ فالله حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يموت سبحانه؛ لذلك فأنت عندما ترتبط بالله تأوي وتركن إلى ركن شديد.

والدار الآخرة ثابتة؛ فالنار لم تنطفئ والجنة موجودة؛ فعندما ترتبط بالدار الآخرة لا يحدث لك أي اهتزاز مهما حدث من تقلبات: استضعاف، أو تمكين، أو نجاح ثورة أو فشلها، أو انتكاس فلان .. الخ

(من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت)[١٧]. فهو لديه قضايا ثابتة يعيش عليها، ومهما حدث من تقلبات يظلُ ثابتًا على مبادئه.

إذًا؛ خطورة الدين الثوري:

تكمن في نشأة جيل من الشباب لم يرَ أي شيء؛ ولم يخض في قضايا تربوية، ولم يعش معانٍ تربوية، ولا معاني الإيمان، ولا دروس الوعظ، أو طلب العلم، والدعوة إلى الله، ولا حفظ القرآن، ولا يستطيع حتى أن يقرأ القرآن!

ثم تجد أحدهم يتكلم في قضايا كبيرة تحتاج إلى فطاحل السياسة الشرعية ليتحدثوا فيها، ويقول: الصحيح أن تفعل الأمة كذا، وأن يفعل الشباب كذا، ولا يستطيع أن يستشهد بآية أو حديث؛ لأنه أصلًا لا يعرف أحاديث، والدين عنده حماسي!!

---

[١٧] [عن عائشة أم المؤمنين:] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مات وأبو بكرٍ بالسُّنْح، فجاء أبو بكرٍ، فكشف عن رسولِ اللهِ ﷺ، فقبَّلَهُ قال: بأبي أنتَ وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا، ثم خرج، فحمدَ اللهَ، وأثنى عليهِ، وقال: ألا من كان يعبدُ محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ، فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} وقال عزَّ وجلَّ: {وَما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} إلى قولِهِ {الشّاكِرِينَ} قال: فنشجَ الناسُ يبكونَ، قال: واجتمعتِ الأنصارُ إلى سعدِ بنِ عبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ، فقالوا: منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ، وعمرُ بنُ الخطابِ، وأبو عبيدةَ بنُ الجراحِ، فذهب عمرُ يتكلَّمُ، فأسكتهُ أبو بكرٍ، ثم تكلَّمَ أبو بكرٍ فتكلَّمَ أبلغَ الناسِ، فقال في كلامِهِ: نحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، فبايِعُوا عمرَ وأبا عبيدةَ، فقال عمرُ: بل نُبايِعُكَ أنتَ، فأنتَ سيدنا وخيرنا وأَحَبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخذ عمرُ بيدِهِ، فبايَعَهُ، وبايَعَهُ الناسُ

البغوي (ت ٥١٦)، شرح السنة ٣٢٣/٥ • صحيح

وعندما تجد جماعة أو طائفة تبنت مشروعًا معينًا، ثم فشل هذا المشروع لجهلهم ونقص خبرتهم، **تحدث عندهم حالة من الارتداد والشك**، ويعتقدون أنهم قد غُرر بهم، والدين الذي اتبعوه خطأ ويتصوّرون أن "الدين .. الإنسانية"، والشعارات الأخرى التي يتبناها الغرب هي الحق، ولو فكروا برهة لوجدوا أن المشكلة تكمن فيهم وليست في الدين.

فما هذه الميوعة في الولاء والبراء؟، وأين هي العقائد؟ هم بالأساس لم يكن لديهم عقائد ثابتة، ولم يتلقوا عقائد، وإنما تلقوا مشاعر حماسية انطفأت مع انطفاء المشروع، أو مع أول كبوة، وأول ابتلاء.

فأين هذه العقائد المترسخة؟، أين عقيدتهم في الله، والدار الآخرة، وفي الإيمان والكفر؟ وأين فهمهم لقضية التوحيد وجريمة الكفر؟

وهم أصلًا لا يعتبرون الكفر جريمة؛ فعندهم من يقف مع الظالم قد ارتكب جريمة أكبر من الكفر؛ فلا مشكلة عندهم أن يضعوا أيديهم في يد الكافر!

أما الوقوف مع الظالم فهو عندهم أخطر شيء في الحياة، ولا يتقبلون فاعله حتى لو كان مسلمًا ويفضلون عليه الكافر، وهذا مع أنه مصيبة ودناءة وإثم عظيم –وهذا أقل ما يُقال فيه–، لكن جريمة الكفر جريمة أعظم، **فأصبح سلم الدين وأولويات الدين عندهم غير مُرتَبة**، وهذا ما تكلم عنه الدكتور فريد الأنصاري في كتاب "البيان الدعوي والتضخم السياسي"، وتكلم عنه أيضًا قبله أبو الحسن الندوي في كتاب "التفسير السياسي للإسلام": أن تطرح للناس أن الدين أو الله تعالى حاكم وليس ربًّا.

- والصحيح هو أن يكون أولًا الإله والرب ،ثم الحاكم، فيجب أن يتعرّف الناس أولًا على الألوهية والربوبية، ثم على أوامر الله تعالى بعد ذلك.

فخطورة وجود الدين الثوري؛

هي أنك تجد مثلًا على "الفيسبوك" أشخاصًا كانوا إسلاميين، ويدعمون القضايا الإسلامية، وينادون برفع الظلم من منظور إسلامي، ثم تجد هؤلاء فجأة قد وقعوا ليس في معصية فحسب –فكلنا نقع في المعصية–، **وإنما حدث عندهم انقلاب مفاهيمي**.

كالمحجبة التي لم تكتف بخلع حجابها، وإنما انتقلت إلى الحزب الآخر من المفسدين الذين يشيعون الفاحشة؛ فهذا انقلاب في المفاهيم وهذا هو ما أتكلم عنه: أن ينتقل أحدهم من

صفوف الإسلاميين إلى الجانب الآخر تمامًا، ويبدأ يؤصل لقضايا على عكس ما كان يدعو إليه من قبل!فمشارب القرآن والسُنة لم تعد موجودة عند الكثيرين.

تأتي فتقرأ كتابًا فتجد أن الكاتب لا يفهم أصلًا تبعات كلامه، وقد يكون الكلام الذي كتبه هو كلام العلمانيين من تأريخية القرآن ونحوه؛

بما مفاده أن القرآن أشبه بكلام تاريخي نزل لطائفة معينة، لوقت معين، وأن هدفنا الآن هو تحقيق مستوى معين من الإنسانية والتعايش، وهذا نسف لكثير من أحكام الشريعة.

ثم الكلام الذي قيل في الحجاب من بعض الذين كانوا يُحسبون على الإسلاميين، مع أنهم كانوا مشهورين بكونهم ثوريين هذه مصيبة، وتدل على وجود خلل نحتاج أن نتداركه سواء عندنا، أو عند الجيل الصاعد الذي لم يفهم شيئًا، لم يفهم أنها كانت ثورة وفشلت؛ فبالتالي كل ما يشغله الكفر بهذا الطريق، فهو لم ينشأ على شيء آخر، ولم يحمل أي عقائد أخرى، وليس عنده هم الدين وإنما الدنيا فحسب، وهذه كانت النقطة الخامسة.

❖ إشكالية التحليل الجزئي للمعصية:

أما النقطة السادسة فهي: إشكالية التحليل الجزئي للمعصية، وعدم النظر إليها بصورة كلية؛ فيأتي أحدهم ويقول أنتم كدعاة تُضخمون مفهموم الانتكاس، –وهو يعني أن أحدًا ما كان يقوم بطاعة ثم تركها–، فنقول له أنت على حق، وقد نكون نحن على خطأ، ولا بد من أن نُطور الخطاب الدعوي مع الاحتفاظ بالثوابت –وهذا يحدث لكثير من الدعاة ونحن منهم–.

مثال توضيحي مهم: لكنك تجد أحيانًا شخصًا ما دينه كله عبارة عن ثلاث أو أربع طاعات يقوم بها؛ مثلًا: امرأة كان لباسها بعيدًا تمامًا عن اللباس الشرعي، ثم انتقلت إلى مرحلة الحجاب ثم الخمار ثم النقاب، فَالنقاب أصبح شيئًا تعتز به، ولكنها مقصرة في بقية الدين، وأقصى ما تفعله أن تحضر درسًا دينيًّا، أو تقرأ قليلًا من آيات القرآن، وهي معتزة بهذه الطاعات التي تقوم بها، وتمارس حياتها العادية مع أسرتها فتأخذ ثوابًا مع زوجها وأولادها، وتحتسب هذه الطاعات لله ﷻ، فهذه عندما تترك جزءًا من دينها، كأن تتوقف عن حضور درس العلم، ستقول أن حضور الدرس أصلًا مستحب.

فتخيل مثلًا في قصة قاتل المائة في الحديث المشهور الذي تعرفونه، عندما أراد التوبة وذهب للعالِم الثاني، وقال: (هل لي من توبة؟)، قال: (نعم ومن يحول بينك وبين التوبة، ولكن اترك أرضك فإنها أرض سوء، وانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم)[١٨]، لو تعاملت مع هذا الأمر بسياسة الواجب والمستحب .. ستقول هل ترك أرض المعصية فرض؟ فتجد من يقول بأنه مستحب، ومن يقول بأنه فرض، ولكن حتى لو كان فرضًا ولم أترك أرض المعصية فلا تنعتني بالمنتكس، ولا تعطِ الأمر أكبر من حجمه فهي مجرد معصية مثل أي معصية أخرى!

وهنا أقول بأن **هناك معاصٍ تُحدث نقلة**؛ فهو لو لم يترك أرض المعصية، فإن هذه المعصية ستجر وراءها مائة معصية أخرى!، وهذه مشكلة قد لا يفقهها كثير من الناس؛ لذلك تجدهم يقولون بأنكم تُضخمون موضوع اللحية والنقاب، ونحن لا نتكلم عن حكم اللحية والنقاب في كتاب فقهي تستذكره وينتهي الأمر، فأحيانًا تكون هذه نقطة فارقة في حياة شخص ما، وعلامة الانتقال من مجتمع إلى مجتمع.

ففي حال إنسان كان يعيش حياته بالطول والعرض، ويفعل كل ما يريد ، وعندما قرر أن ينتقل من هذه البيئة إلى بيئة أخرى، فإن أحد أشكال هذا الانتقال هو الهَدي أو السمت الظاهر، ولا أُنكر بأن هناك من يُضخم هذا الأمر، لكنني أتكلم عن شيء أراه عندي وعند الشباب؛

فتجد من يقول بأن فلانة خلعت النقاب، وأنتم عندما تعتبرونه انتكاس فإنكم تضخمون الموضوع!، حسنًا؛ لو أنها خلعت النقاب وما زالت بيئتها كما هي، ومستمرة في حفظ القرآن، وتذهب إلى دروسها، فليس ثمة مشكلة؛ فالمسألة خلافية، والموضوع انتهى ولن نضخمه.

---

[١٨] [عن أبي سعيد الخدري:] كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَألَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ على رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإلى أيَّتِهِما كانَ أدْنى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قالَ قَتادَةُ: فقالَ الحَسَنُ ذُكِرَ لَنا، أنَّه لَمّا أتاهُ المَوْتُ نَأى بصَدْرِهِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٧٦٦ • [صحيح]

لكن الخطر هو أن يكون هذا هو علامة انتقال من بيئة إلى بيئة أخرى، فمثلًا شخص ملتحي حلق لحيته، ممكن البعض يضخم الموضوع، وهناك من يتعامل مع الموضوع ببساطة، لكن الفكرة هي فيما يدل عليه الفعل الذي وقع؛

- هل هو علامة أنه رأى ذلك مستحبًا، فقرر أن لا يفعل هذا المستحب ونزل عن هذه النقطة؟
- أم أنه قرر أن يكفر بالطريق من الأساس؟؛ فلا علم ولا دعوة ولا نصرة دين ولا تغيير، وأصبح يتبنى فكرة أن هذه كلها قضايا فاشلة؛ فلا خلافة إسلامية، ولا دعوة إلى الله، ولا علوم شرعية، ومذاهب فقهية، وهو يفكر في الهجرة إلى بلد غربي ويستبدل ألفاظ "الولاء والبراء" والإيمان والكفر بالإنسانية؛ فهذا حدث له انقلاب في مفاهيمه وارتد على عقبيه –وهذا من أتكلم عنه–، وليست القضية أنه حلق لحيته، وعندما تُنبهُ على الخطر يقول بأن هذه هي مجرد طاعة قد تركها!! نعم هي طاعة قد تركتها؛ ولكن هذا من منظور ضيق جدًّا، وهذه هي خطورة التحليل الجزئي للمعصية أو التحليل الجزئي للطاعة، وعدم النظر إليها بصورة كُلية.

يسأل شخص ما عن حُكم ترك قاتل المائة لأرض السوء؛ فلو أجاب أحدهم بأن ذلك مستحب، فكأنه يقول ليس عليك يا أخي في الله أن تترك أرضك.

وتجد أحدهم يأتي إليه سؤال على الإنترنت فيجيب، وهو لا يعلم من هو السائل وما هو حاله، وقد تؤدي هذه الإجابة إلى وقوع هذا الشاب في الكبائر، وليس مجرد الانتكاس.!

لذلك فقد سمى النبي ﷺ هذا العالِم الذي قال للقاتل اترك أرضك "**فقيهًا**"؛ فهو يعلم أن الانتقال من بيئة معصية معينة إلى بيئة طاعة معينة سوف يُحدِث نقلة في حياته.

- ✓ إذًا؛ لا يصح أن نتعامل مع الأمور بالتَحليل الجزئي فقط؛ فنحن نُضخم موضوع اللحية والنقاب لأن القضية ضخمة بالأساس والمجتمع نفسه يُضخمها، بدليل أنه يُصنِف هذه الفئة ويضيق عليها.

وأنا أعترف بأن هناك نماذج سيئة لملتحين ومنقبات تُنفر الناس وتؤدي إلى الحَور بعد الكور –وسنتكلم عنهم–، هم موجودون، لكن من الإشكاليات التي تؤدي إلى الحَور بعد الكور؛ أن يكون دين المرء عبارة عن خمسة أو ستة أشياء؛ فيقال له هذه مستحبة فَيتركها، وهذه فيها خلاف فَيتركها، ويُقال له دع هذه

فهي مجرد معصية بسيطة ثم استغفر ربك فَيطيعهم، وبهذا يصبح ليس له دين أصلًا؛ لأن دينه كان عبارة عن خمسة أو ستة أشياء، فهو لم يكن يعمل ثلاثمائة طاعة وعندما ترك واحدة بقي عنده مائتان وتسع وتسعون فلم يؤثر ذلك عليه! ففي هذه الحال من يقول بأن هذا انتكاس يكون مضخمًا للأمور فعلًا – وأعترف بأن لدينا مشكلات في الخطاب الدعوي–.

مثلًا شاب في الجامعة لديه صُحبة فاسدة –وكلنا مررنا بذلك– تفعل كل ما تريد من رحلات مختلطة وكل شيء من المحرمات، ثم فجأة يموت صديق هذا الشاب، فيقرر أن يتوب ويستقيم؛ فهو خاف من الوضع القديم وقرر أن يلتزم، ومعنى ذلك أن طريقة التفكير القديمة كلها كانت خاطئة، وأن هناك مُكونًا جديدًا سيدخل في حياته اسمه الدين، وهذا المكون لم يكن موجودًا من قبل –وهذا ما أقصده–، فلا نقول أنه التحى أو التزم بل تغير تفكيره تمامًا؛ فهناك مفاهيم كبيرة دخلت حياته لم تكن موجودة من قبل، وهذه المفاهيم الكبيرة جعلته يسأل هل هذا حلال أم حرام؟ وهل يصح أن أفعل كذا؟، وهل هذا العمل حلال أم حرام؟، بمعنى أن هناك مكونًا أساسيًّا أصبح متمكنًا بداخله فغير نظرته للحياة كليًّا، فبدأ يقول لماذا لا أحفظ القرآن؟، ولماذا لا أنصر الدين؟، ولماذا لا أتعرف على الصحابة ويصبحون قدوتي؟، ولماذا لا يصبح النبي ﷺ قدوتي؟، وكيف يصبح قدوته وهو لا يعرف عنه شيئًا، فيبدأ يرتقي في الدين؛ وبالتالي يصبح هناك فجوة بينه وبين الصُحبة القديمة.

فمن الخطابات الموجودة هذه الفترة و أراها رد فعل لِخطأ موجود، ولكنه أيضًا رد فعل خاطئ؛ فهم ينادون بعدم الانفصال عن المجتمع، ويقولون لماذا تريدون أن تعزلوا المجتمع الملتزم؟، أو تنشئوا "مسجد الإخوة"؟، وأنتم بهذا تمارسون نوعًا من الكبر والغطرسة والفهم الخاطئ للدين، وهم لا يفهمون **أن هذا يحدث تلقائيًّا** وليس نحن من نصنعه.

فعندما يكون هناك صُحبة سوء يريدون أن يجلسوا في المقاهي ويفعلون ما يحلو لهم، وصُحبة أخرى صالحة ترفض هذا، أو شخص كان لديه صُحبة سيئة ثم انصلح حاله، وأصبح رافضًا لما يفعلونه، وهم يقولون له إما أن تفعل مثلنا أو تتركنا نفعل ما نريد، فبالتالي لا بد أن يبتعد عنهم، ويبحث عن مجتمع آخر؛ فيحدث هناك نوع من الانفصال؛ قد يلتقون في المدرسة أو في الجامعة ولكن لن يصح أن تكون بينهم مؤاخاة، فمن الطبيعي أن ينفصل عنهم، وأن يبحث عن مجتمع آخر يذهب معهم إلى المسجد ويرافقهم في الرحلات.

فلا يصح –طبعًا– أن نبني حائطًا، وحواجز بين الناس من أجل الدعوة، ولا أن يستعلي بعضنا على بعض، فيشعر البعض بأنهم أفضل من غيرهم؛ **فالتواضع مطلوب، لكن لا تطالبه بأن يكسر كل الحواجز**؛ فهذا خطأ أكبر؛ لا بد من وجود حواجز؛ لأنه عندما نقول أن شخصًا ما قد التزَم؛ فمعنى ذلك أنه غيّر مفاهيم كبيرة في حياته، وانتقل إلى طريقة تفكير مختلفة تمامًا –وهذا ما أقصده–.

وآخر نقطة أشير إليها في مسألة "إشكالية التحليل الجزئي للمعصية أو للطاعة وعدم النظر إليها بصورة كلية" هي أنه لا يصح أن نلوم شخصًا ما كان ملتحيًا ثم حلق لحيته؛ فأحس بحالة من الانهزام النفسي، أو منتقبة خلعت النقاب فحدثت لها حالة من التراجع الكبير، فأيًّا كان السبب، سواءً كانت هي ليست متزنة أو هو ليس متزنًا، فالواقع أنه يبدأ يحدث له حالة من الانحدار؛ وبالتالي عندما آتي إلى هنا وأنتبه إلى أنه ترك –مثلًا– درسًا كان يحضره أو ترك صحبة صالحة، فلا ينبغي أن نتعامل مع ذلك بشكل جزئي، بالسؤال عن ما هو حكم ترك الصحبة الصالحة أو حكم عدم حضور الدروس؟! هذا سؤال خاطيء في هذا الحال.

فمن الممكن والعادي أن يترك أحدهم الدروس، فهي ليست فرضًا عليه، لكن بالنسبة لهذا الشخص تحديدًا قد يكون الأمر مختلفًا، تمامًا كما في حالة حكم قراءة كتب فكرية معينة؛ فأنت تعلم أن فلانًا إذا قرأها فإنه ينتكس ويقع في الشبهات، بينما آخر قد يقرؤها دون أن يتأثر بها؛ إذًا الأحكام تختلف.

وأنا حزنت من أحد الأخوة –وظني أنه لم يرد إلا الإصلاح– عندما كتب مقالًا في مسألة "التضخيم في الهَدي الظاهر"، هذا يحدث، لكن **يجب علينا ألا نلوم أنفسنا في لحظات الاستضعاف ووقت السقوط**، ونقول في كل شيء: نحن المخطئون، فمع أن عندنا أخطاء الإنسان، لكن هناك أناس بذلوا وضحوا وأرادوا الخير؛ وبالتالي فإن هناك عوامل أكبر منا، فمثلًا تعامل المجتمع مع مسألة اللحية والنقاب بصورة فيها عنف؛ أدى إلى نوع من المقاومة.

❖ النماذج الملتزمة السيئة:

والنقطة السابعة هي: النماذج السيئة التي تقابلنا في الواقع، وأشهر مثال هو **قصة سيدنا سلمان الفارسي**، فبعد أن وصل إلى منصب كبير جدًّا في الدين المجوسي، وأبوه كان صاحب منصب كبيرًا جدًّا، ترك كل هذا وضحى به، فهو كان يبحث عن الخير والحق، فرأى النصارى وظن فيهم الخير، وقال أين

أصل هذا الدين؟ وربطه أبوه؛ كي لا يذهب، ففك القيد وترك كل شيء: ترك والده وترك المستقبل؛لأجل دين ربنا، واشتغل خادمًا عند أول راهب!، أرأيتم التضحية؟!

وبعد كل ذلك اكتشف أن هذا الراهب نصاب يطلب من الناس أن يدفعوا الأموال من أجل ربنا، ثم يأخذ هو هذه الأموال!، فظل ساكتًا إلى أن مات الراهب، ثم أخبر الناس بحقيقته، وبعد ذلك سأل عن الراهب الذي بعده، وانتقل من بلد إلى بلد؛ فجاب أربعة بلاد –وهي قصة طويلة جدًّا، راجعوها– إلى أن وصل إلى النبي ﷺ.

إذًا؛ **سيدنا سلمان لم يتراجع عند أول نموذج قابله**، ولم يقل أنا ندمت، فقد ضحيت وتركت والدي والقصور، وأنتم نصابون فترك الطريق...لا!

فالسائر إلى الله يُكمِل، أما السائر إلى الناس فيتوقف عندما يرى أن الناس سيئون.

فمسألة النماذج السيئة في الواقع موجودة، وربنا ﷻ جعلها بلاء {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} [الفرقان ٢٠]، فأنت من الممكن أن تُبتلى، والشخص الذي يتسبب في تنفير الناس من الدين سيعاقب يوم القيامة، لكن هذا الشخص لن يكون العذر لك؛ فعندما يُقال لك: لماذا تركت ذلك؟ فلا ينفعك الاحتجاج بأنه كان سيئًا؛ **فكلاكما سيعاقب**؛ بدليل أنه ذكر في القرآن أن هناك أصدقاء سوء سيعاتبون بعضهم، ويحدث بينهم تنازع في النار –والعياذ بالله–.

إذًا؛ عندما يترك أحدهم الطريق بسبب شخص مُنفر، قد يعاقب الشخص المنفر، لكن ذلك ليس عذرًا كي نترك الطريق؛ فهو أحد الابتلاءات التي تواجهنا في الطريق.

❖ **نعيد ذكر النقاط السابقة التي تؤدي إلى الحور بعد الكور مرة أخرى:**

١. الصراع بين التصور المثالي والواقعي.
٢. الفرق بين علو الهمة والطمع.
٣. النصوص العالية في الدين تحتاج فهمًا؛ كي لا نصاب بإحباط في الدين.
٤. النماذج السيئة التي تقابلنا في الواقع.

٥. أن تتحمل من الدين ما لا تطيق؛ فأنت تحتاج إلى تدرج، فلا ينبغي أن تقبل على شيء لا تقدر عليه، أو تتحمل أدوارًا ثقيلة عليك وأنت لم تضع الأساسات بعد.

٦. خطورة الدين الثوري، الذي يعظم قضية واحدة ويجعلها محور الدين، ويوالي ويعادي من أجلها، ويحاكم الناس على هذه القضايا ويُلزمهم بها، من دون أن يكون لديه زاد من دين أو علم أو عبادة، ويدخل في قضايا عظيمة ثم بعد ذلك عندما تفشل هذه القضايا يرتد ويترك كل شيء؛ لأنه لا يملك أُسُسًا.

٧. إشكالية التحليل الجزئي للمعصية، والتعامل مع نفسه أو مع غيره عندما يستفتيه أحد في مسألة فعل هذا أو ترك ذاك على أنها أجزاء، من دون أن يفهم تكوين الشخصية.

ففي فتنة النساء مثلًا؛ عندما يكون هناك شاب غير متزوج في واقع معين مثل الجامعة، فإن ذلك يختلف عن شخص آخر في مكان معين؛ لذلك فإن عقوبة الشيخ الزاني أشد -والعياذ بالله-؛ لأنه من المفترض أن تكون الشهوات عنده أضعف.

إذًا؛ عندما أتعامل مع شخص ما فإن الموضوع يختلف حسب المكان والطاعات والمعاصي التي تحيط به.

❖ بشرية العاملين لله:

وآخر شيئين أريد أن أقولهما يخصان الدعاة إلى الله والعاملين لله، فهؤلاء بشر يخطئون

مثال علي ذلك:

- فرعون الظالم الطاغية المتكبر لما قال لسيدنا موسى عليه السلام: {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ}[الشعراء ١٩]
- اعترف سيدنا موسى عليه السلام، وقال: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ}[الشعراء ٢٠]؛ فلم ينكر ولم يقل أنا لم أفعلها...بل قال فعلتها
- {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ}[الشعراء ٢٢]، ولكنك لن تمن عليَّ بأنك ربيتني في القصر، لأنك في الأصل أخذتني من أمي؛ فأنت تمن عليَّ بأمر هو في الأساس سوءة في حقك!.

✓ هذا الاعتراف بالخطأ ينقصنا؛ بأن نقول أنا أخطأت والصواب كذا، فكل عامل للدين ينبغي له أن يعترف بخطئه ولا يكابر؛ حتى يعطي لنفسه فرصة للرجوع؛ لأن المكابرة والمنازعة تؤدي -والعياذ بالله- إلى الاستمرار في الخطأ.

فالمشكلة عندما يخطئ الداعية إلى دين الله مرة واثنتين وثلاث، ولا يُنصَح، ثم يكابر وتحدث له حالة غريبة جدًّا بدأنا نراها، وتؤدي إلى الحور بعد الكور سواء عنده أو عند غيره، فنحن نرى نموذجًا -أنا صراحة أتعجب منه وأخاف أن أسقط فيه ولا عاصم إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله-

كنموذج عبد الله القصيمي الذي كتب كتابًا دفاعًا عن الإسلام قال عنه إمام الحرم بأنه دفع به مهر الجنة، وبعد ذلك لم ينتكس فحسب، وإنما ألحد وبدأ يهدم في الدين!؛ فبالفعل الأمر مرعب.

○ انتبه! عندما ترى هذه النماذج لا تُسئ الظن بالله.

وأحيانًا عندما نسمع عن رموز وكوادر سقطت تسودنا حالة من الرعب، ويدب في قلوب بعض الناس سوء ظن بالله؛ بأن الحياة عبث وأن الشخص من الممكن أن ينتقل من جانب إلى آخر، لكن الله لا يظلم أحدًا؛ فهو -سبحانه وتعالى- أعلى وأجل، وسيدنا يونس عندما ذهب يدعو إلى الله، ثم التقمه الحوت قال: {لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ}[الأنبياء – ٨٧].

إذًا؛ علينا أن نبتعد عن سوء الظن بالله، فمن المؤكد أن الشخص لديه أخطاء، لكن احذر أن تسيء الظن بالله وتظن أن الله أضله {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ}[التوبة ١١٥]، {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ} **من أشد صيغ النفي**، {لِيُضِلَّ} بلام الجحود، فالله يهديه ابتداءً ويبين له كيف يتقي الضلال، وعندما ترى شخصًا انتقل من صورة إلى أخرى، فلا ينبغي أن يصبح في داخلك من كثرة الخوف والرعب نوع من الاتهام؛ فتقول: لماذا يا رب؟

إذ لا بد أنه قد أخطأ، وربنا لا يعاقب أحدًا من أول مرة، وهذا يراه الإنسان في نفسه فلطالما ستره الله، وهذا الكلام منصوص عليه في الكتاب والسنة، ويراه الإنسان في نفسه {وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ}[الذاريات ٢١].

مثال من التاريخ علي ذلك:

وأعود إلى القول بأن هناك حالة غريبة أخذت تظهر، وقد حاولت أن أجد لها نموذجًا تاريخيًّا، فوجدت **سيدنا أبا محجن الثقفي** الذي كان يجاهد ويشرب الخمر، وقد أصبحنا نرى مثل هذا النموذج: أن يكون أحدهم متميزًا في شيء من الدين، وفي نفس الوقت يرتكب معصية غريبة جدًّا، واستمرار مثل هذا النوع على ذلك الوضع خطأ ويؤدي إلى كوارث في نفسه وفي غيره.

فعندما نجد مثل هذا الشخص "المجاهد شارب الخمر" وهو متميز جدًّا في الدعوة، وبعد ذلك يفعل مصيبة، فإن هذه الصورة قد تفتن المئات من الناس، وهو لا يستطيع أن يتوقف؛ وهذا خطر؛ إذ لا بد له أن يتوقف.

❖ احذر من حالة الجوع للمال والشرف!

وفي حديث: (ما ذئبان جائعان)[١٩] –وهذا الحديث كنا قد شرحناه، وأفضل من شرحه هو الدكتور خالد السبت، يفضل أن ترجعوا إليه– يقول النبي ﷺ أن هناك حالة جوع تصيب الإنسان في الحرص على المال والشرف؛ فكثير من الناس عندما يكون لديه شرف معين وصورة معينة سواءً في الدعوة أو في غيرها لا يستطيع أن يتخلى عنها، وإذا أراد أن يتوقف ويتوب من الذنب فإن الصورة المرسومة له ستهتز؛ فلا يستطيع، ويختار أن يستمر حتى يحافظ على هذه الصورة؛ وهذه مصيبة، فلا بد أن يعترف بخطئه ويتوقف ولا يكمل؛ فأنت بذلك ستفتن نفسك وتفتن كثيرًا من الناس، حالة الجوع هذه تحتاج أن تقف.

وهذا الحرص على الشرف يجعل بعض الناس ترتد، أو تصر على أن تُكمِل ولا تتوقف، فمن الممكن أن يقع داعية في أخطاء، وهو يعلم أنه قد أخطأ، وكل من حوله قال له أنه أخطأ، لكنه لا يستطيع أن يتخلى عن الصورة التي رسمها لنفسه؛ فمعنى توقفه كي يصلح هذا الخطأ الكبير أنه قد وقع في خطأ!

وما المشكلة في ذلك؟، فكلنا نقع في أخطاء، وإذا لم يتوقف، لكي لا تهتز صورته المرسومة، فسيبقى عبدًا لهذه الصورة، وهذه أيضًا نقطة خطيرة جدًّا، فأمراض النفوس المختفية التي يتغافل عنها الإنسان ولا يعالجها مصيبة، ومن الكتب الجميلة جدًّا للشيخ الطريفي كتاب "الفصل بين النفس والعقل"؛ حيث أبدع فيه في تحليل أفعال نفعلها، والنفس هي التي استأسدت فيها وقادت العقل.

[١٩] [عن كعب بن مالك:] ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ، لدِينه
الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٣٧٦ • حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٧٩٤)

ففي كثير من النزاعات والخلافات تكون النفس هي التي تتكلم وليس العقل، مثل قضية الإلحاد النفسي والتبرج النفسي والانتكاس النفسي؛ **فالقضية هي بالأصل نفسية**، ويأتيك من يجادل بالعقل مع أن القضية ليست عقلية، فقد ذكر ربنا أن بني إسرائيل عندما رجعوا وعبدوا العجل بعد سنين كان السبب هو أن حب العجل كان مركوزًا في القلب {وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ}[البقرة ٩٣]؛ فلم يستطيعوا أن يتخلصوا منه؛ لذلك بمجرد ما رأوه، قالوا: {ٱجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا}[الأعراف ١٣٨].

فمن الخطير جدًّا أن تدع شهوة ما تستقر وتتمكن كسرطان في القلب من دون أن تنزعها، وهي ما تزال تتمكن حتى يستقر الأمر، فعندما تأتي الفتنة تسقط والعياذ بالله.

إذًا؛ دور الدعاة إلى الله تعالى هو تعليق الناس بربهم لا بأشخاصهم؛ فكلنا نُخطئ؛ الداعية وغير الداعية، والعامل وغير العامل؛ فلكي لا نفتن الناس، **يجب أن نعلقهم بالله**، فلا يكون هدف الشخص أن يجعل الناس ترتبط به أكثر.

فالنبي ﷺ كان يربط الناس بالله، وكان أكثر شخص قريب من النبي ﷺ وهو سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه- من أكثر الناس ارتباطًا بالله؛ **ولذلك كان هو أكثر شخص ثبت بعد موت النبي ﷺ مع أنه أقرب الناس إليه.**

وهذا شيء عجيب جدًّا؛ فهو عكس ما نراه في علاقتنا الاجتماعية، فعندما يكون لديك صديق قريب جدًّا منك ثم يموت، فإنك تكون أكثر شخص متأثر بموته، وتحتاج إلى من يصبرك.

لذلك فعندما تجد أن أقرب شخص للنبي ﷺ وهو أبو بكر، ورفيقه في الغار، وفي الهجرة (ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ورجعت وأنا وأبو بكر وعمر)[٢٠]، وحتى في القبر، كان أكثر شخص يثبت بعد موت النبي ﷺ، وهذا إن دل علي شئ فإنه يدل علي أن **النبي ﷺ يكون بذلك قد نجح في الدعوة؛ لأنه ربط قلوب الناس بالله وليس بشخصه.**

---

[٢٠] [عن عبدالله بن عباس:] وُضِعَ عُمَرُ على سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ، يَدْعُونَ ويُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وأَنَا فيهم، فَلَمْ يَرُعْنِي إلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ فَتَرَحَّمَ على عُمَرَ، وقالَ: ما خَلَّفْتَ أحَدًا أحَبَّ إلَيَّ أنْ أَلْقَى اللَّهَ بمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وايْمُ اللَّهِ إنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صاحِبَيْكَ، وحَسِبْتُ إنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النبيَّ ﷺ يقولُ: ذَهَبْتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، ودَخَلْتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وخَرَجْتُ أنا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٦٨٥ • [صحيح]

والارتباط بشخص النبي ﷺ من مراد الله؛ فنحن نتأسى به ﷺ، ومع ذلك وقف أبو بكر الصديق وقال: (من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)[٢١]، **فكيف قالها أبو بكر إلا بشيء وقر في قلبه؟!**

❖ كيف نحل هذا الإشكال؟ بربط الناس بالله

إذًا؛ دورنا نحن كما قال الله تعالى: {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}[آل عمران ٧٩]؛ فكيف نكون ربانيين؟

بأن نربط الناس بكتابه وليس بأشخاصنا {بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[آل عمران ٧٩]، وسيدنا ابن عباس يقول: "يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره"؛ أي: لا تعطي الناس الأشياء الكبيرة التي تجعلهم ينتفشون بها، ولا يستطيعون أن يبنوا بها أُسسًا، ولا حتى ينتقدوك بها بعد ذلك.

❖ **ملخص سريع لكل ما سبق:**

- علينا أن نكثر من الاستعاذة مما استعاذ منه النبي ﷺ؛ حيث كان يقول: (أعوذ بك من الحور بعد الكور)، فهذا وارد علينا جميعًا وليس بمستبعد عن أحد، فحتى الكوادر التي تعمل للدين – وقد كان كلامنا عنها– من الممكن أن تقع في ذلك، لعدة أسباب:

---

[٢١] [عن عائشة أم المؤمنين:] أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، مَاتَ وأَبُو بَكْرٍ بالسُّنْحِ، - قَالَ: إسْمَاعِيلُ يَعْنِي بالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يقولُ: واللَّهِ ما مَاتَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قَالَتْ: وقَالَ عُمَرُ: واللَّهِ ما كانَ يَقَعُ في نَفْسِي إلَّا ذَاكَ، ولَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أيْدِيَ رِجَالٍ وأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ فَكَشَفَ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بأَبِي أنْتَ وأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا ومَيِّتًا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللَّهُ المَوْتَتَيْنِ أبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أيُّها الحَالِفُ علَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أبو بَكْرٍ وأَثْنَى عليه، وقَالَ: ألَا مَن كانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فإنَّ مُحَمَّدًا قدْ مَاتَ، ومَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وقَالَ: {إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: ٣٠]، وقَالَ: {وما مُحَمَّدٌ إلَّا رَسولٌ قدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ علَى أعْقَابِكُمْ ومَن يَنْقَلِبْ علَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شيئًا وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، قَالَ: واجْتَمَعتِ الأنْصَارُ إلى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقالوا: مِنَّا أمِيرٌ ومِنكُم أمِيرٌ، فَذَهَبَ إليهم أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فأسْكَتَهُ أبو بَكْرٍ، وكانَ عُمَرُ يقولُ: واللَّهِ ما أرَدْتُ بذلكَ إلَّا أنِّي قدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قدْ أعْجَبَنِي، خَشِيتُ أنْ لا يَبْلُغَهُ أبو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ في كَلَامِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بنُ المُنْذِرِ: لا واللَّهِ لا نَفْعَلُ، مِنَّا أمِيرٌ، ومِنكُم أمِيرٌ، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: لَا، ولَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وأَعْرَبُهُمْ أحْسَابًا، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أوْ أبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أنْتَ، فأنْتَ سَيِّدُنَا، وخَيْرُنَا، وأَحَبُّنَا إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأخَذَ عُمَرُ بيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، فَقَالَ عُمَرُ قَتَلَهُ اللَّهُ، وقَالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَالِمٍ، عَنِ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ القَاسِمِ، أخْبَرَنِي القَاسِمُ، أنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ثُمَّ قَالَ: في الرَّفِيقِ الأعْلَى ثَلَاثًا، وقَصَّ الحَدِيثَ، قَالَتْ: فَمَا كَانَتْ مِن خُطْبَتِهِمَا مِن خُطْبَةٍ إلَّا نَفَعَ اللَّهُ بهَا لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وإنَّ فيهم لَنِفَاقًا فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بذلكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أبو بَكْرٍ النَّاسَ الهُدَى، وعَرَّفَهُمُ الحَقَّ الذي عليهم وخَرَجُوا به، يَتْلُونَ {وما مُحَمَّدٌ إلَّا رَسولٌ، قدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤] إلى {الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٦٦٧ • [صحيح] [قوله: وقال عبد الله بن سالم... معلق]

- فقدان الزاد في منتصف الطريق.
- الصراع بين التصور المثالي والواقعي.
- الفارق بين علو الهمة والطمع.
- الخطأ في التعامل مع النصوص العالية.
- النماذج السيئة التي تقابلنا في الواقع.
- تحمُّل ما لا تطيق من الدين.
- خطورة أمراض النفس المسكوت عنها.
- خطورة الدين الثوري الذي لم يبنَ على علم ولا دعوة ولا عبادة.
- خطورة التحليل الجزئي للمعصية والطاعة والتعامل معها على أنها جزئيات وعدم النظر إليها بصورة كلية.
- خطورة حالة الضعف والإحباط وسقوط الرموز وغياب الرؤية مع الأزمات الاقتصادية؛ وهذه -للأسف- بيئة ممتازة للانسلاخ الفكري من نصرة القضايا التي يتبناها المستضعفين.
- بشرية العاملين لدين الله، وأنهم من الممكن أن يقعوا في المعصية، لكن الخطورة هي استمراء هذا الوضع حتى يصل أحدهم إلى مرحلة يؤدي فيها طاعة كبيرة لكنه يرتكب مقابلها معصية كبيرة، وهذه المعصية من الممكن لها أن تكبر وتتغلب، ولا يستطيع مقاومتها، ويسكت عن الأمراض المستقرة.

- وأخيرًا؛ فإن دور الدعاة هو تعليق الناس بالله وليس بأشخاصهم {كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[آل عمران ٧٩].

أسأل الله ﷻ أن يثبت قلوبنا، ويستعملنا لنصرة دينه، اللهم إنّا نعوذ بك من الحور بعد الكور، اللهم اجنبنا وبنينا أن نعبد الأصنام، اللهم استعملنا وثبتنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.